الفصل الرابع

أبرز رجالات الثورة العرابية

١- أحمد عرابى

(١٨٤١- ١٩١١م)

تنتمى أسرة أحمد عرابى إلى أصول عربية وفدت من العراق إلى مصر، فهو من ذرية الإمام على الرضا، ومنتهيا بنسبه إلى الامام الحسين رضى الله عنه وقد ولد أحمد عرابى فى قرية "هرية رزنة" بمديرية اللشرقية فى ٣١ مارس ١٨٤١ وتلقى تعليمه المبكر فى كتاب القرية ثم التحق بالأزهر وانخرط بعدها فى سلك العسكرية فى ديسمبر ١٨٤٥ بعد أن أمر سعيد باشا بانتظام ابناء العمد والمشايخ فى سلك الجندية. وقد ترقى عرابى فى مراتب الضباط سريعا فى عهد سعيد باشا حتى وصل الى رتبه القائمقام.

وخلال تلك الفتره استطاع عرابى تكوين افكاره السياسية الأولى التى تنحصر فى ضرورة المساواة بين المصريين والشراكسه.

وبعد ان تولى اسماعيل باشا الحكم تعرض عرابى للعديد من المكائد والمظالم خاصة فى الضباط الشراكسة لدرجة أنه أحيل إلى وظيفة مدنية لفترة ولم تتم إعادته إلى صفوف الجهادية إلا خلال الاستعداد للحملة الحبشية فتم ارساله إلى الحبشة. وهناك شاهد الكوارث والهزائم التى تعرض لها الجيش المصرى نتيجة لعدم كفاية القادة الشراكسة. وازدادت الأزمات بعد تولية الخديو

توفيق الحكم فى ٢٦ يونيو ١٨٧٩ حتى جاوزت فى خطورتها وعواقبها ما حدث فى عهد ابيه مما دفع العسكريين والمدنيين إلى التفكير فى ضرورة انقاذ البلاد. وخلال تلك الفترة كان الخديو توفيق قد قرب عرابى اليه، فمنحه رتبة الأميرالاى، وجعله ياورا خديويا له، كما عينه اميرا على الآلاى الرابع بالعباسية إلا أن نفس عر ابى الثائره التى تعلقت بها آمال الضباط الوطنيين وقتذاك لم تقبل السكوت على تسلط عثمان رفقى ناظر الجهادية على أبناء مصر وتفضيله للأتراك الشراكسة عليهم، وبوجه خاص أنه منح الرتب والنياشين والوظائف الهامة للشراكسة فى الوقت الذى حرم منها المصريون. وطالب الضباط الوطنيون عرابى بالدفاع عن حقوقهم، واتفقوا على اختياره رئيسا لهم، فقام عرابى بكتابة عريضة إلى مصطفى باشا رياض رئيس مجلس النظار وضح فيها تعصب ناظر الجهادية الشركسى لبنى جنسه، واجحافه بحقوق الوطنيين وطالب فيها بعزله، وتعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافلة للمساواه والعدل بين الجميع.

وقد أصر عرابى على مطالبه بالرغم من تحذير رياض باشا لعرابى وصحبه من العواقب الخطيرة التى يمكن ان تترتب على تقديم هذه العريضة للخديو.

واعتبر الخديو تصرف عرابى تمردا، وأمر بالقبض عليه وعلى زملائه ومحاكمتهم أمام مجلس عسكرى. ونظرا لأن

القبض عليهم فى ثكناتهم قد يثير عليهم باقى الضباط، فقد تم استدراجهم إلى ديوان الجهادية. بحجة النظر فى خطة الاحتفال المزمع إقامته لزفاف الاميرة جميله هانم شقيقة الخديو. وفى الديوان انعقد المجلس العسكرى لمحاكمتهم، ولما تسرب الخبر للضبّاط الوطنيين اقتحموا قاعة المحاكمة، واطلقوا سراح الضباط المحتجزين بالقوة ثم انطلقوا إلى قصر عابدين مطالبين الخديو بعزل ناظر الجهادية، والنظر فى شكواهم. وأحس الخديو بخطورة الموقف، فرضخ للأمر الواقع وأمر بعزل عثمان رفقى، وبذلك نجح العرابيون فى فرض ارادتهم وتأكدت زعامة عرابى للجيش، وعمل عرابى على تحسين أحوال الضباط والجنود، فتقدم بمذكرة إلى ديوان الجهادية طالب فيها زيادة المرتبات، وإصلاح قانون الترقية، وتحسين نظام التغذية، وإرجاع بعض الضباط المفصولين إلى الخدمة. وقد وافق الخديو على هذه المذكرة وأمر بتشكيل لجنة للنظر فى إصلاح احوال العسكريين.

وخلال ذلك عمل عرابى على نشر افكاره بين طبقات الامه، وطالبهم بمساعدته على حفظ النظام والامن. ونظرا لتزايد الدسائس التى تحاك ضد العرابيين، ومحاولات رياض باشا رئيس النظار التخلص منهم اتخذ العرابيون موقف الحذر، كما طلب عرابى من أبناء الامة تفويضه فى الدفاع عن مصالحهم والمطالبة بحقوقهم حتى يمكنه الدعوة إلى تشكيل مجلس نيابى، واسقاط

وزارة رياض المستبدة وانهم إذا فوضوه فى ذلك فانه سيعمل كل ما يتعلق باحوال البلاد من الاصلاحات المطلوبة.

ولقى كلام عرابى آذانا صاغية من جميع المصريين فى شتى انحاء البلاد وتقدموا بعرائض التفويض له فى النيابة عنهم، وتضامنهم معه فى كل ما يقوم به من اصلاحات مما كان له اكبر الاثر فى تقوية العزائم واطلاق اسم المحضر الوطنى على هذه العرائض.

وساهم عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية بدور فعال فدعا الاهالى الى تأييد عرابى والالتفاف حوله حتى يتخلصوا من حياة الذل والاستعباد وألهب حماسهم بخطبه الوطنية.

وشعر عرابى بأن مركزه أصبح قويا بتفويض جماهير الشعب المصرى له، وتأييد زملائه الضباط فقرر القيام بمظاهرة وطنية يجتمع فيها أبناء الجيش والشعب معا، فكانت مظاهرة عابدين فى سبتمبر ١٨٨١م والتى وقف فيها عرابى أمام الخديو ممثلا للأمة المصرية كلها حيث قال له بعد أن سأله الخديو عن أسباب حضوره بالجيش إلى عابدين جئنا يا مولاى لنعرض عليك مطالب الأمة والجيش وكلها طلبات عادلة فقال الخديو "وما هى هذه الطلبات" فرد عرابى هى "إسقاط الوزارة المستبدة، وتشكيل مجلس نواب على النسق الاوربى، وزيادة عدد الجيش إلى القدر المعين فى الفرمانات السلطانية، والتصديق على القوانين

العسكرية السابق أمركم بوضعها"، "فقال الخديو" كل هذه الطلبات لاحق لكم فيها وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى واجدادى وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا" ولم يهتز عرابى من كلمات الخديوى ورد بكل قوة قائلا "لقد خلقنا الله أحرارا ولم يخلقنا تراثا وعقارا، فو الله الذى لا إله إل هو إننا لم نورث ولن نستعبد بعد اليوم" فتراجع الخديو إلى قصره بناء على نصيحة من معه وانتهى الأمر بقبول مطالب العرابيين فتم عزل رياض باشا وتولية محمد شريف باشا مكانه. أما بالنسبة لانشاء مجلس نواب، وزيادة عدد الجيش فقد رأى الخديوى ضرورة الرجوع إلى الباب العالى ووافق عرابى على ذلك.

وسار العرابيون من نصر إلى نصر وافتتح مجلس النواب، ونتيجة لحدوث خلاف بين النواب والنظار فى شأن الميزانية استقالت وزارة شريف، وكلف محمود سامى البارودى صديق العرابيين بتشكيل وزارة جديدة. وفى عهد وزارة البارودى تقلد عرابى وزارة الجهادية، وقام بتمصير الجيش، وإحالة عدد كبير من الضباط الشراكسه إلى الاستيداع، وأصدر العديد من القوانين فى صالح المصريين مما دفع الشراكسة إلى التآمر عليه وإنتهاء الامر بمحاكمتهم وصدور الأحكام بنفى أربعين منهم الى السودان.

ولم يرض الخديو على ذلك ورفض التصديق على هذه الأحكام مما اغضب العرابيين، وتأزمت الأمور بينهم وبينه. وانتهزت

انجلترا وفرنسا هذه الفرصة وأرسلت مذكرتهما المشتركة فى ٢٥مايو ١٨٨٢ تطلبان فيها اسقاط وزارة البارودى، وابعاد عرابى عن مصر وعلى الرغم من رفض الامة كلها للمذكرة فقد وافق عليها الخديو مما أدى إلى استقالة وزارة البارودى. وتحت ضغط العسكريين استمر عرابى على رأس وزارة الجهادية، وتعهد بالحفاظ على الأمن والنظام.

وبدأ الخديو وأنصاره التآمر لازاحة عرابى من مركز السلطة وذلك باحراجه باتهامه بعد القدرة على ضبط الأمن فى البلاد، ولتحقيق هذا الغرض تم تدبير مذبحة الأسكندرية فى ١١ يونيو ١٨٨٢.

وقد استغلت انجلترا حدوث المذبحة للتدخل عسكريا فى شئون مصر، وانتهزت فرصة قيام عرابى بتجديد بعض الطوابى وعمل الاصلاحات فى حصون الأسكندرية فقامت بضرب الاسكندرية بمدافع اسطولها فى يوليو ١٨٨٢ وعلى الرغم من صمود القوات المصرية فى مراكزها أمام قذائف الإسطول الإنجليزى فقد تم تخريب استحكامات المدينة، وهدم واحراق بعض مبانيها مما إضطر العرابيين إلى الإنسحاب من الأسكندرية إلى كفر الدوار، ورفضهم أوامر الخديوى بوقف الاستعدادات الحربية واعادة الحياة المدنية. ونتيجة لإتضاح موقف الخديو المؤيد للانجليز دعا عرابى إلى عقد جمعية عمومية من كافة طوائف الشعب ليعرض

عليهم الموقف، ويشاورهم فى أمر الحرب، فلبى الدعوة نحو من سبعين شخصا استقر رأيهم على لزوم الاستمرار فى اعداد التجهيزات الحربية، وعلى استدعاء النظار من الأسكندرية وضرورة حضور الخديو إلى القاهرة.

وفى أعقاب ذلك أصدر الخديو امرا بعزل عرابى. وردا على ذلك عقد عرابى مجلس عام فى ديوان الداخلية صدرت خلاله فتاوى من بعض المشايخ بمروق الخديوى لخيانته لدينه ووطنه وأمته وانحيازه للإنجليز.

وخلال ذلك لم يتمكن الانجليز من اقتحام استحكامات عرابى فى كفر الدوار لمناعتها واستبسال المصريين فاتجهت قواتهم لاحتلال منطقة القناة مما اضطر العرابيين إلى جعل منطقة التل الكبير مركزا عموميا لقواتهم العسكرية، وقد أخطأ عرابى فى اعتماده على دعوة ديلسبس بضمان حياد القناة ولم يستمتع لنصائح ضباطه بردمها، مما أدى إلى تغيير مجرى الحرب واحتلال الإنجليز للقناة، وهزيمة عرابى فى التل الكبير واضطراره إلى تسليم نفسه للقوات الانجليزية فى سبتمبر ١٨٨٢ فتم تقديمه وزملائه للمحاكمة وانتهى الأمر بنفى عرابى إلى جزيرة سيلان وتجريده من رتبه واملاكه.

وعلى الرغم من مصاعب النفى والإبتعاد عن الوطن فان عرابى لم ينس لحظات رحيله عنها فكتب بيانا يوضح فيه علاج مشاكل مصر والاصلاحات اللازمة لانتظام أحوالها.

واستمر عرابى فى منفاه بسيلان حتى تولى الخديوى عباس الثانى اريكة الخديوية فى مصر، واصدر أوامره بالعفو عن عدد كبير ممن اشتركوا فى احداث الثورة العرابية فعاد عرابى إلى مصر ووصل إلى القاهرة فى سبتمبر ١٩٠١.

وعلى الرغم من ابتعاد عرابى عن وطنه تسعة عشر عاما فانه قوبل بعد عودته إليه بالهجوم من البعض فقد هاجمته جريدة اللواء واتهمه الزعيم مصطفى كامل بالضعف والجبن والتعمد فى إدخال الاحتلال إلى مصر ١٣ أكتوبر ١٩٠١ كما تعرض عرابى لنقد امير الشراء أحمد شوقى بقوله:.

صغار فى الذهاب وفى الاياب أهذا كل شأنك يا عرابى!!

ونظرا لتوتر أحوال عرابى الاقتصادية والضنك المالى الذى ألم به نتيجة لمصادرة أمواله فقد قدم العديد من الالتماسات إلى المسئولين يطلب فيها رد أمواله المصادرة ولكن مطالبه ذهبت ادراج الرياح حت توفاه الله فى ٢٢ سبتمبر ١٩١١م ودفن فى قرافة الامام الشافعى.

المصادر المخطوطة

- محافظ الثورة العرابية محفظة رقم (٨)
- احمد عرابى كشف الستار عن سر الأسرار (جزءان)
- Broadley: The Trial Exile and Pardon of Arabi Pacha. Vol II

المصادر والمراجع المطبوعة

- سليم النقاش: مصر للمصريين، جـ ٤
- عبد الرحمن الرافعى: الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى
- عبد المنعم الجميعى :
  - الثورة العرابية بحوث ودراسات وثائقية
  - عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية
- ميخائيل شاروبيم: الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث جـ ٤
- Broadley: How we Defended Arabi and his friends.
- Cromer: Modern Egypt

الدوريات

الأستاذ: نوفمبر ١٨٩٢ ـ اللواء اكتوبر ١٩٠١

الوقائع المصرية فبراير ١٨٨١

٢- عبد العال حلمى أبو حشيش(*)
(مارس ١٨١٩)

من زعماء العرابيين الذين كانت لهم أدوار مشهودة فى تاريخ الثورة وظل رفيقا لعرابى حتى نهايتها.

وقد دخل عبد العال حلمى الجيش فى عهد سعيد باشا، ورقى من تحت السلاح ولم ينال حظا كبيرا من التعليم الحربى. وقد تدرج فى الرتب العسكرية فى عهد اسماعيل، وعندما تولى توفيق الحكم رقاه إلى رتبه القائمقام وجعله قائدا للآلاى السودانى المعسكر فى طره، وبعد أن شكل على الروبى جمعية سرية فى الجيش للوقوف فى وجه مظالم الشراكسة الذين قاموا بتنزيل رتب وفصل بعض الضباط المصريين، انضم عبد العال حلمى إليها. وكان من الاصدقاء المقربين إلى أحمد عرابى، وعندما تزايدت ضغوط عثمان رفقى وزير الحربية الشركسى على الضباط المصريين وقيامه بإصدار أوامره بنقل عبد العال حلمى من الآلاى السودانى إلى ديوان الجهادية ليكون معاونا فيه وتعيين أحد الضباط الجراكسة مكانه، لجأ عبد العال حلمى وعلى فهمى وبعض الضباط إلى أحمد عرابى وهم فى حالة هياج شديد وتباحثوا معه فى الأمر اقسموا على الدفاع عن حقوقهم وكرامتهم واتفقوا على كتابة عريضة إلى مصطفى رياض باشا رئيس النظار يطالبون فيها بعزل ناظر الجهادية لتعصبه لبنى جنسه وإجحافه بحقوق الوطنيين كما طالبوا بان يكون ناظر الجهادية مصريا، ومع أن رياض باشا حذرهم من عواقب هذه

(*) إعداد: د. عبد المنعم إبراهيم الجميعى، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، بكلية الآداب جامعة الفيوم.

العريضة فقد صمم الضباط الثلاثة عليها، ولما عرض الأمر على مجلس النظار أصدر الخديو أمرا باعتقال الضباط الثلاثة واحالتهم إلى مجلس عسكرى بتهمة التمرد والعصيان، فدعى عبد العال وزميليه إلى ديوان وزارة الجهادية بقصر النيل فى أول فبراير ١٨٨١ بحجة الاستعداد لترتيب عملية الاحتفال بزفاف جميلة هانم شقيقة الخديو، وأخفى عنهم أمر المحاكمة.

ولم يكد عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى يدخلون قصر النيل حتى أطاحت بهم شرازم الشراكسة يسبونهم وينزعون سلاحهم وقدموا للمحاكمة ولما علم الضابط محمد عبيد بذلك اقتحم مقر المحكمة وقام باطلاق سراحهم، وفى أعقاب ذلك ذهبوا مع جنودهم إلى قصر عابدين لإبلاغ الخديوى بما حدث وكرروا المناداة بمطالب الضباط وقد وافق الخديو على طلبهم ووافق على عزل عثمان رفقى وتعيين محمود سامى البارودى مكانه كما أعلن الخديو عدم وجود تمييز بين الضباط المصريين والشراكسة فى الجيش وزيادة مرتبات الضباط بهدف استرضائهم، ومع ذلك فقد ظل عبد العال متشددا فى مطالبه مندفعا لا يحتاط للعواقب فشكك فى نوايا الخديو تجاه الضباط الوطنيين وطالب بشغل الأماكن الخالية بآلايه بالعناصر الوطنية وقد صدق مجلس النظار على طلبه مما جعل الخديو يفكر فى التخلص منه.

ونتيجة لتأثر هيبة الخديو من هذا الحادث اتخذ أسلوب الدسائس للنيل من الضباط الوطنيين فاوعز إلى تابعيه باغراء جنود الآلاى السودانى على التمرد على ضباطهم، وتوجيه اتهامات ضد قائد الآلاى عبد العال حلمى، وتحريض الجنود على العصيان، وتحرير العرائض ضد العرابيين ولما

انكشفت المؤامرة وحوكم مدبريها دبرت محاولة أخرى لنقل عبد العال حلمى ففى ٣ فبراير ١٨٨٢ ، اكتشفت محاولة لدس السم فى اللبن لعبد العال حلمى، وبرزت شائعات ان هذه المؤامرة دبرت بمعرفة حاشية الخديو واعترف الجانى بجريمته وحكم عليه بالسجن وكوفئ عبد العال بالباشوية فى الترقيات العسكرية التى اعقبت تأليف وزارة البارودى، واتخذ العرابيون هذه الحادثة سببا لتهديد الخديو والتلويح بخلعه.

ولما عظم شأن العرابيين وخشى الخديوى خطرهم حاول تشتيت شملهم بأبعادهم عن القاهرة وكان من نصيب الآلاى السودانى الذى يقوده عبد العال السفر إلى السودان، ولكن العرابيين توقفوا عن إطاعة الأمر واضطربت الأحوال ونتيجة لشدة الضغط من الحكومة وكثرة الدسائس زحف عرابى فى مظاهرة إلى ميدان عابدين، شارك فيها عبد العال حلمى المظاهرة وقاد الآلاى الثالث المشاه بعد أن رفض قائد الآلاى محمد شوقى الاشتراك فى المسيرة، وذهب إلى ميدان عابدين مما أفشل فكرة تردد البعض فى عدم المشاركة، وعمل على تجنب انقسام الجيش إلى معسكرين ونجحت المظاهرة فى عزل وزارة رياض والموافقة على تولية شريف باشا وتحقيق مطالب العرابيين.

وقد اشترط شريف باشا لتولى الوزارة على العرابيين نقل بعض الآلايات إلى خارج القاهرة، ومنها آلاى عبد العال حلمى وحسما لتجنب الخلاف وافق الضباط على رحيل عبد العال بجنوده إلى دمياط وان ينتقل عرابى بالآلاى الرابع مشاه إلى رأس الوادى، فغادر عبد العال حلمى القاهرة

على رأس الآلاى السودانى إلى الحامية الجديدة بدمياط فى الرابع من أكتوبر ١٨٨١ وفاء لما أخذوا على أنفسهم بالابتعاد عن العاصمة، وقد جرى ذلك وسط مهرجان شعبى ومظاهرة سياسية فكان فى وداعه عرابى والبارودى وعبد الله النديم، وجمع كبير من الأهالى الذين أخذ بعضهم ينثر الرياحين والورود على رءوس العساكر وفى دمياط انفرد عبد العال حلمى بالسلطة فى المدينة بعدما أصر على طرد المحافظ "اسماعيل زهدى" من هناك.

ولما انكشفت مؤامرة الشراكسة ضد العرابيين بهدف تصفية الضباط المصريين وعلى رأسهم عرابى وعبد العال حلمى، وشكلت محكمة عسكرية لمحاكمتهم شارك فيها عبد العال حلمى وبعد أن رفض الخديو التصديق على قرارات هذه المحكمة وتأزم الموقف أرسلت انجلترا وفرنسا مذكرتهما المشتركة للمطالبة بمغادرة عرابى للبلاد وإلزام عبد العال حلمى وعلى فهمى وطلبه عصمت بيوتهم ولكن هذه المطالب لم تنفذ بالرغم من قبول الخديو لها.

وبعد سقوط وزارة البارودى قام الخديو باستدعاء كبار الضباط ومنهم عبد العال حلمى وأبلغهم بسقوط الوزارة وإحالة نظارة الجهادية عليه، وأنه يجب تنفيذ أوامره من الآن فصاعدا دون غيره، فكان رد عبد العال حلمى وبعض الضباط عليه بأنه يجب رفض المذكرة الانجليزية الفرنسية المشتركة التى وافق عليها الخديو أولا حتى يستطيعون تنفيذ أوامره.

وإلى جانب ذلك فقد حضر عبد العال حلمى اجتماعا بمنزل سلطان باشا بناء على تعليمات عرابى وفيه تم التشاور فى مسألة عزل الخديو وكان عبد العال حلمى من الموافقين على ذلك، وبعد أن أصدر الخديو أوامره بعزل

عرابى اعترض عبد العال حلمى على ذلك وتمسك ببقاء عرابى ونددد بالخديو الذى يريد تسليم البلاد للانجليز وبيع البلاد لهم.

وعلى الرغم من تطورات الموقف فقد ظل عبد العال حلمى فى دمياط بعيدا عن الحرب ولم يشارك فى أى معارك ضد الانجليز حتى هزيمة التل الكبير. وبعد هزيمة التل الكبير طلب عرابى من عبد العال حلمى قائد دمياط التوجه إلى القاهرة وترتيب الجنود الموجودين بها فى نقط الدفاع ضد الانجليز ورد عليه عبد العال بأنه سيتحرك فورا إلى القاهرة ، ولكن مسيرة الحرب ونتائجها لم تمكنه من ذلك، وظل عبد العال حلمى يدعو للمقاومة حتى أرسل له الخديو إنذار بالتسليم وقد رفض عبد العال التسليم وأخذ فى الاستعداد للحرب ولكنه لم يجد بدا من قبول التسليم بعد استلام جميع الجنود المصريين وتهديد الحكومة له بالاعدام فأصدر أمره إلى ضباطه بتسليم أسلحتهم وحوكم ونفى ضمن الزعماء المتبقين وصحبته زوجته وثلاثة من أفراد أسرته فى منفاه حيث عاش هناك حياة رتيبه شديدة الملل ، ونتيجة لاصابته بحساسية شديدة فى صدره توفى فى مارس عام ١٨٩١ وكان لموته حزن عميق فى نفوس أصحابه إذ رأوا فى مصيره شبح مصيرهم وقد ذكر عرابى نبا وفاته بقوله "وفى سنة ١٣١٠هـ توفى إلى رحمة الله شهيد الوطنية والغربة عبد العال باشا حلمى ودفن فى قرافه قسم مردانه وضريحه مشهور يزار ".

المصادر:

- أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه، محمود الخفيف ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤.
- القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية، لطيفة سالم ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١.
- الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى، عبد الرحمن الرافعى، النهضة المصرية، ١٩٤٩.
- مصر للمصريين مائة عام على الثورة العرابية، مجموعة من المؤرخين، مركز الدراسات السياسية بالأهرام، القاهرة، ١٩٨١.
- كيف دافعنا عن عرابى وصحبه ، بردولى – ترجمة عبد الحميد سليم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.

٣- علـــى باشا فهمـــى(*)
(٢٠ نوفمبر ١٩١١)

من مواليد المنوفية، انضم للجيش كضابط من تحت السلاح منذ عام ١٨٥٥ مع فترات انقطاع متعددة عمل خلالها فى وظائف مدنية وخدم بالحرس الخديوى الخاص فى عهد اسماعيل وتزوج من احدى حريم القصر وشارك فى فض حركة الضباط امام وزارة المالية فى ١٨ فبراير ١٨٧٩، فبعد أن فشل الخديو فى فض المظاهرة ولم يستجب الضباط المحالين للاستيداع والمطالبين بصرف رواتبهم المتأخرة لنصائحه أمر باستخدام كتيبة الحرس الخديوى التى يقودها على فهمى بمحاصرة المتظاهرين واطلاق النيران عليهم، ومع أن على فهمى استجاب للأمر فانه طلب من جنوده أطلاق النار فى الهواء فقط للسيطرة على الموقف ونجح فى ذلك، وانضم على فهمى إلى الجمعية السرية التى أسسها على الروبى فى أواخر عصر اسماعيل تعبيرا عن سخط الضباط الوطنيين على سيطرة الشراكسة على أمور الجيش، والمطالبة بفتح باب الترقى أمام الوطنيين والتخلص من حكم إسماعيل. وفى عصر الخديوى توفيق تم ترقية على باشا فهمى وتعيينه ياورا وقائدا للحرس الخديوى الخاص، وعندما قامت الثورة العرابية تحمس لها وكان بمثابة العقل المدبر لعرابى، كما كانت له صفحات بطولة خلال مسيرتها فاشترك مع عرابى وعبد العال حلمى فى تقديم عريضة إلى رياض باشا رئيس النظار فى يناير ١٨٨١ للمطالبة بوقف الظلم الواقع على الضباط المصريين فى الجيش

(*) إعداد: د. عبد المنعم إبراهيم الجميعى، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، بكلية الآداب جامعة الفيوم.

وبان يكون وزير الحربية مصريا ونتيجة لذلك أصدر الخديو أمرا باعتقال الضباط الثلاثة بتهمة التمرد والعصيان فأحيل على فهمى مع زميليه إلى مجلس عسكرى لمحاكمتهم مما أدى إلى وقوع حادث قصر النيل فى أول فبراير ١٨٨١ حيث قام الضابط محمد عبيد مع قواته باقتحام مقر المحكمة وإطلاق سراحهم وذهابهم إلى قصر عابدين لاطلاع الخديو على ما حدث وعرض مطالبهم عليه ومنها عزل عثمان رفقى، والغاء التمييز بين الضباط الوطنيين والشراكسة والذى انتهى بعزل عثمان رفقى من نظارة الحربية واسنادها إلى محمود سامى البارودى. وبعد أن اشتد عود الثورة وبرزت حاجتها إلى داعية من المدنيين لتوصيل أفكار العرابيين إلى عموم الشعب المصرى اتصل على فهمى بعبد الله النديم وطالبه بالدعوة للجيش علانية فاستجاب لذلك واصبح من أكبر دعاة العسكريين ومن أشد المتحمسين لهم ولأفكارهم. وعلى الرغم من ان على فهمى كان قائدا للحرس الخاص فى قصر عابدين ، وكان مسئولا عن الآلاى الأول المكلف بحراسة القصر فقد سحب عساكره وساند العرابيين فى موقفهم خلال المظاهرة الذى حدثت أمام قصر عابدين رغم محاولات الخديو استمالته لتنفيذ ما يصدر إليه من أوامر وبعد نجاح العرابيين فى تحقيق مطالبهم قام الضباط الشراكسة بالتآمر ضدهم، وبعد انكشاف امرهم شارك على فهمى فى المحكمة العسكرية التى شكلت لمحاكمتهم والتى أصدرت حكمها بتنزيل رتب أربعين ضابطا منهم وحرمانهم من الامتيازات العسكرية ونفيهم إلى السودان ونظرا للخلاف الذى حدث بين الخديو والعرابيين نتيجة لصدور هذه الأحكام واعتراضه عليها

وتدخل مجلس النواب لمعالجة الموقف قدم القنصلان الانجليزى والفرنسى مذكرة تطالب بمغادرة عرابى للبلاد، والزام على فهمى وعبد العال حلمى وطلبة عصمت بعدم مغادرة منازلهم ، ولكن هذه المذكرة لم تنفذ لرفض العرابيين لها والتفاف الأهالى حولهم رغم موافقة الخديو عليها، وبعد سقوط وزارة محمود سامى البارودى استدعى الخديوى احمد عرابى وعلى فهمى وكبار الضباط وأبلغهم بسقوط الوزارة واحالة نظارة الجهادية عليه وأنه يجب تنفيذ أوامره من الآن فصاعدا دون غيره فاجابه على فهمى وبعض الضباط بانهم لا يسمعون أوامره ما لم يرفض المذكرة الانجليزية الفرنسية المشتركة.

كما حضر على فهمى اجتماعا بعزل سلطان باشا رئيس مجلس النواب، وطالبوا بعزل الخديو ورفض المذكرة المشتركة لأنها تمس حقوق مصر. وبعد أن صدر أمر الخديوى توفيق بعزل عرابى اعترض على فهمى على ذلك فى المجلس العرفى موضحا أهمية بقاء عرابى للدفاع عن الوطن والدين ونددد بالخديو الذى أراد تسليم البلاد للانجليز، وطالب بضرورة الاستمرار فى الحرب للدفاع عن الوطن والمقدسات وحفظ البلاد. وإلى جانب ذلك فقد شارك على فهمى فى أداء اليمين الذى لقنه الشيخ محمد عبده لكبار الضباط والقسم على المصحف بضرورة التكاتف لمحاربة الانجليز إذا فكروا فى غزو مصر وان من يخرج عن الصف يستحق قطع الرقبة وشق الصدر.

وبعد نشوب الحرب بين العرابيين والانجليز شارك على فهمى فى معركتى القصاصين الأولى والثانية حيث حضر من القاهرة ومعه آلاى المشاه الأول لشد أزر المقاتلين والمساعدة فى حفر الخنادق وأعمال

الاستحكامات، وتولى قيادة قلب القوات المهاجمة للعدو، وتقدمت قواته تحت نيران المدافع لمهاجمة الانجليز، وأبلى بلاء حسنا فى القتال وصمد لجهاد الأنجليز، وفى معركة القصاصين الثانية فى ٨ سبتمبر ١٨٨٢ تولى على فهمى القيادة وهاجم مواقع الانجليز فى معركة استمرت نحو ثلاث ساعات وثبت ثبات الأبطال إلى آخر المعركة التى كانت من أشد المعارك بين المصريين والانجليز حتى أصيب برصاصة فى ساقه فخسر الجيش المصرى باصابته خسارة كبيرة، وظل جريحا حتى أنتهت الثورة فكان قتاله البطولى فى معركة القصاصين موقفا مشرفا له وللثورة، كما كانت إصابته خسارة كبرى للجيش المصرى فى وقت كانت الحاجة إلى جهوده شديدة.

وفى أعقاب هزيمة الثورة العرابية تم اعتقال على فهمى وتقديمه للمحاكمة بتهمة التمرد والعصيان وحكم عليه بالاعدام وتجريده من رتبته العسكرية والقابه وعلامات الشرف الحائز عليها ومحو اسمه من دفاتر ضباط الجيش المصرى ومصادرة أملاكه ثم استبدال الحكم بالنفى المؤيد من القطر المصرى وملحقاته إلى سيلان مع تخصيص معاش لاعانته فى المنفى، على ان يتعهد بعدم العودة إلى مصر، ولو حدث وعاد إليها خلسة تطبق عليه عقوبة الاعدام بدون أى محاكمة. وقدم على فهمى قائمة بأسماء أفراد أسرته الذين سيصحبونه إلى منفاه، وهم حرمه وكريماته الثلاثة وخدمه، وأقام على فهمى فى كولومبو مع عرابى فى ظل حياة رتيبه شديدة الملل والمعاناة ثم انتقل معه إلى مدينة كندى مستسلما للأمر الواقع وتعاقبت السنون عليه وهناك اختلف مع عرابى، وحدث انشقاق بينهما فى ظل الظروف الصعبة التى

تعرضا لها وفترات اليأس التى صاحبتهما وخلال ذلك أصيب على فهمى بأمراض الدوزنتاريا وعسر الهضم وتضخم الطحال والكبد لذلك صرح طبيبه المعالج أن حالته الصحية فى اضمحلال ، وامتداد اقامته فى المنفى سيقضى على ما تبقى من حياته، ومع ذلك فان حاكم سيلان لم يستجب لذلك، وظل على فهمى منفيا بالجزيرة حتى صدر الأمر العالى فى ١١ يونيو ١٩٠١ بعفو الخديو عباس حلمى الثانى عنه فبارح الجزيرة فى ١٥ أغسطس ١٩٠١ ووصل إلى القاهرة فى أول سبتمبر، وانزوى فى منزله حوالى عشر سنوات منسيا بعيدا عن الناس حتى توفى بمنزله بالقاهرة فى ٢٠ نوفمبر ١٩١١.

مصادر الدراسة :

- الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى، عبد الرحمن الرافعى، النهضة المصرية، ١٩٤٩.
- القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية، لطيفة سالم ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١.
- عرابى ورفاقه فى جنة آدم ، لطيفة سالم ، الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٧.
- مصر للمصريين أزمة مصر الاجتماعية والسياسية الكسندرشولش، ترجمة رءوف عباس، دار الثقافة العربية، القاهرة. د.ت.
- كيف دافعنا عن عرابى وصحبه ، برودلى – ترجمة عبد الحميد سليم ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.

٤- الميرالاي محمد عبيد*
(١٣ سبتمبر ١٨٨٢)

ولد الميرالاي محمد عبيد في كفر الزيات و توفي وهو يقاتل الإنجليز في معركة التل الكبير في١٣سبتمبر ١٨٨٢, دخل الجيش جنديا صغيرا وأخذ يرتقي من درجة إلى درجة حتي أصبح ضابطا تحت السلاح و بجهوده وصل إلى مرتبة البكباشي في الالاى السودان عام ١٨٨٠ ثم عمل ضابطا بالالاي الاول (الاي الحرس الخديوي) قبل نشوب الثورة ونتيجة لأنه كان من المدافعين عن حقوق المصريين داخل الجيش وضع اسمه ضمن قائمة المغضوب علىهم في مايو ١٨٨٠ و دبرت ضده المؤامرات في الخفاء, فقرر وزير الحربية عثمان رفقي نقله مع بعض الضباط الوطنيين و منهم عبد العال حلمي من أماكنهم و إحلال ضباط شراكسة مكانهم ولم يكد محمد عبيد يسمع بذلك حتي ذهب مع عبد العال حلمي حكمدار الالاي السوداني إلى منزل أحمد عرابي يشكو له ما حدث و ما يدبره الشراكسة للمصريين, فملأت الحماسة نفس عرابي و ذهب لمقابلة رياض باشا رئيس مجلس النظار بوزارة الداخلية بصحبه زميليه عبد العال حلمي وعلى فهمي للمطالبة بعزل وزير الحربية عثمان رفقي لما ظهر منه من تعصب للشراكسة والإجحاف بحقوق الضباط الوطنيين في الجيش.

و لما بلغ الخديو الأمر طالب وزير الحربية بتشكيل مجلس عسكري لمحاكمة الضباط الثلاثة, ومعاقبتهم بأشد العقوبات و حتي لا يثير ذلك حفيظة الضباط المصريين , لجأ عثمان رفقي إلى حيلة غادرة وهي دعوتهم إلى

ديوان الجهادية بقصر النيل بحجة الإستعداد لحفل زفاف الأميرة جميلة هانم شقيقة الخديو توفيق, و لما أحس عرابي و زميلاه بأن هناك مكيدة تدبر لهم اتفقوا على تلبية الدعوة على أن يقوم بعض الضباط بمراقبة الحالة عن بعد وإستقصاء الأمر , و المبادره بإخبار إخوانهم بما يقع اذا اصابهم مكروه ولم يكد عرابي وزميلاه يدخلون قصر النيل حتي أحاطت بهم مجموعة من الشراكسة قاموا بنزع سيوفهم وإهانتهم و إدخالهم إلى قاعة السجن بمبني قصر النيل, إستعدادا لمحاكمتهم, وتقاذفت عليهم ألفاظ الشماته والسباب ووقف عليهم الحرس وبأيديهم السيوف وعين عثمان رفقي ثلاثة ضباط بدلا منهم على آلاياتهم الثلاثه و لما أبلغ محمد عبيد بما تم نادي جنده نداءه العسكري , فاحتشدوا وأمرهم بالسير إلى قصر النيل لإنقاذ عرابي , فإعترضه أحد كبار الضباط فلم يستمع محمد عبيد إليه , بل قام بإعتقاله في احدي حجرات القشلاق, ثم تحرك إلى قصر النيل وأحكم الهجوم عليه و إقتحم المكان الذي كانت ستنعقد فيه المحاكمة فلاذ عثمان رفقي بالهرب من إحدي النوافذ بصورة مخزية وهرب أعضاء

---

*عبد المنعم إبراهيم الجميعي , أستاذ التاريخ الحديث و المعاصر بكلية الاداب جامعة الفيوم

المحكمة, وراح الجنود يبحثون عن الضباط الثلاثة و يحطمون الأبواب والنوافذ حتي عثرواعلىهم , ففك محمد عبيد قيودهم , وأطلق سراحهم في شجاعة منقطعة النظير وكان هذا اليوم المشهود أول وقائع الثورة العرابية وأول إنتصار لها حيث ذهب الضباط الثلاثة ومن ورائهم من أخرجوهم من

الاسر وعلى رأسهم محمد عبيد إلى قصر الخديو يسمعونه شكواهم و يطالبونه بعزل وزير الحربية فقام الخديو بعزل عثمان رفقي, وطلب إليهم أن يختاروا من يحل محله حتي لا يعودوا إلى الشكوى مرة أخرى فوقع إختيارهم على محمود سامى البارودى ووعدهم الخديو أن ينظر فى بقية مطالبهم فيما بعد وأن يعمل على إنصافهم كلما إقتضي الأمر ذلك.

إن أول ما يرتسم من شخصية محمد عبيد هو ذلك الموقف الشجاع خلال هذه الأحداث بالاضافة إلى وفائه و إخلاصه للثورة من بدايتها مما جعل عرابي و غيره من قادة الثورة يعرفون قدره, فتمت ترقيته الى رتبة قائمقام في وزارة البارودي, ثم إلى رتبة الأميرالاي بعد ذلك و ظل محمد عبيد محافظا على عهد الثورة وفياً لها في كافة المواقف التي تعرضت لها بعد ذلك, فعندما تربص بعض الشراكسة و أعوان الخديوي بعرابي وصحبه كان محمد عبيد حارسا أمينا لزعمائها شديد الإنفعال لهم والحريص على أمنهم وسلامتهم بعد أن إنتشرت الجاسوسية وأطلقت شباكها على العسكريين تتعقبهم فأخذ يراقب أعداء الثورة عندما يسكن الليل يفشل مخططاتهم حتي خافوا منه و تهددوه بالموت, وأثاروا الشائعات حول نقله من القاهره ودسوا عليه الدسائس في عمله, ووجهوا إليه التهم الباطلة , ولكن ذلك لم يهز ثقته بنفسه, و لم يتزعزع إيمانه بالقضية الوطنية ولا بزعامة عرابي.

وظل محمد عبيد سيفا باترا شديد الحماسة يلازم عرابي في جميع خطواته ويؤيده في كل مواقفه و مما يذكر أنه ذهب معه للقاء شريف باشا ليتعجلا إصدار الدستور, و كانت شقه الخلاف قد اتسعت بينهما نتيجة لمؤامرات

الإنجليز والقصر و لم يكد عرابي يتحدث في أمر الدستور ,حتي تطاول عليه شريف باشا وعنفه بشكل غير لائق فما كان من محمد عبيد إلا أن وقف وصاح قائلا (والله ان لم تصدر اللائحة لأقطعن رؤوس الحاضرين) مما أدي إلى توتر الموقف لولا تدخل عرابي في الوقت المناسب لتهدئة الأمور وإقناع شريف باشا بحسن نوايا محمد عبيد, و لما أصر شريف باشا على خروج عرابي بقواته من القاهرة إلى رأس الوادي بالشرقية, إعترض محمد عبيد على ذلك وإنتقد هذا الموقف ولكن عرابي أقنعه بالتريث في الأمر حتي تتم الموافقة على الدستور , فإقتنع محمد عبيد بذلك و سافر مع عرابي إلى رأس الوادي لوداعه و لما افتتح مجلس النواب في ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ كان ذلك يوما مشهودا من أيام مصر التاريخية, حيث أعدت قاعة المجلس وإصطفت أورطه من الالاي الأول المشاه على جانبي الطريق بقيادة البكباشي محمد عبيد و معها موسيقاها العسكرية تصدح بالحان الفرح و الإبتهاج .

ولكن تطورات الاحداث أدت إلى تعكير هذه الأجواء ففي السابع والعشرين من مايو ١٨٨١ تم إجتماع العرابيين بمنزل سلطان باشا عقب التدخل الأجنبي السافر في شئون مصر ووصول المذكرة الإنجليزية الفرنسية المشتركة التي تطلب فيها الدولتان إخراج عرابي من مصر وإبعاد عبد العال حلمي وعلى فهمي إلى داخل البلاد, وأن تستقيل وزارة البارودي من الحكم ثار محمد عبيد على هذا التدخل في شئون مصر وإنتقد موافقة الخديوي على ذلك, و هدد بالويل والثبور و قد وصل الأمر إلى ذروته بعد ان ألقي عرابي

خطبه في النواب و ختمها بقوله من كان معنا فليقم, وحدثت ضجة كبيرة في المكان ووقف الضباط, و لكن معظم النواب والحضور من المدنيين لم يقفوا إمتثالا لطلب عرابي فهددهم الميرالاي محمد عبيد بالسيف ,ولكن ظلوا جالسين و لم ينفع تهديد محمد عبيد لهم .

ومع ذلك فقد ظل محمد عبيد مناصرا للعرابيين في كل مواقفهم , رغم مخاطر الأحداث المتلاحقة وعندما حدثت معركة التل الكبير في الثالث عشر من سبتمبر ١٨٨٢ وتمكن الانجليزمن الإستيلاء على الإستحكامات الأمامية, للعرابيين لم يرهب محمد عبيد الموقف كما أرهب بعض القادة الاخرين الذين فروا من ميدان المعركة بل صمد في هذه الموقعه و معه جنوده من السودانيين و كانوا حوالى ثلاثة ألاف وأدوا واجبهم في الدفاع عن مواقعهم و ظلوا يدافعون الانجليز ويقفون أمامهم بالمرصاد ,و قائدهم يحثهم على الثبات فلم يتزحزحوا رغم قوة نيران المدافع الإنجليزية المصوبة عليهم , و عدم تمكن بنادقهم من مقاومة هذه النيران حتي إستشهد معظمهم , و ظل محمد عبيد متمسكا بالمقاومة حتي استشهد و فاضت روحه إلى بارئها, و بذلك ختم حياته بصفحة مشرفة جعلته بحق آية البطولة في تاريخ الثورة العرابية. لقد استشهد محمد عبيد و لم يخلف ذرية, و ليس له قبر معروف مثل العديد من آلاف المصريين الذين استشهدوا في هذه المعركة.

مصادر الدراسة

- أحمد عرابي الزعيم المفتري عليه, محمود الخفيف , القاهرة٢٠٠٤
- الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزي ,عبد الرحمن الرافعي القاهرة ١٩٤٩
- صور من البطولات العربية و الأجنبية, حسين مؤنس, القاهرة ٢٠٠٠
- القوي الإجتماعية في الثورة العرابية, لطيفة سالم, القاهرة , الهيئة العامة للكتاب ١٩٨١
- كشف الستار عن سر الاسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية, احمد عرابي دراسة و تحقيق عبد المنعم الجميعي , القاهرة ٢٠٠٥
- مائة عام على الثورة العرابية, مجموعة من المؤلفين مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ١٩٨١

٥- اللواء على باشا الروبى(*)
(١٩ سبتمبر ١٨٩١)

فلاح مصرى من مواليد قرية (دفنو) احدى قرى مركز إطسا بالفيوم . تعلم فى كتاب القرية فأجاد القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم ، ولما بلغ الخامسة عشر من عمره التحق بالأزهر وقضى به عدة سنوات ثم انضم إلى صفوف الجيش فى عهد سعيد باشا ورقى من تحت السلاح إلى رتبه الملازم ثان، وتدرج فى الرتب العسكرية لكفاءته حتى وصل إلى رتبه البكباشى فى عهد الخديوى اسماعيل، وشارك فى الحملة التى وجهت إلى الحبشة عام ١٨٧٥ حيث عين رئيسا لفرع المهمات، وهناك تقابل مع عرابى الذى كان يشغل وقتها منصبا إداريا حيث عمل مديرا للنقل والحمل وهناك توطدت العلاقة بينهما، وأفصح كل منهما للآخر عن موقفه الوطنى، فانضم عرابى إلى الجمعية السرية التى أسسها على الروبى، وشارك فيها العديد من الضباط الوطنين بغرض التخلص من الطبقة الجركسية فى الجيش وفتح أبواب الترقى أمام الضباط الوطنيين والتخلص من الخديوى اسماعيل.

ولما نما خبر هذه الجمعية إلى الخديو وعرف مقاصدها السرية حاول استقطاب أعضائها عن طريق سياسة اللين فاستدعى ثلاثة من كبارها وهم أحمد عرابى وعلى الروبى وطلبه عصمت ، فلما مثلوا بين يديه وكشف أمرهم إعتذروا له موضحين ضياع حقوقهم الوطنية بعدم ترقيهم إلى المناصب العليا فى الجيش واحتكار الضباط الشراكسة لهذه المناصب، فوعد

(*) إعداد: د. عبد المنعم إبراهيم الجميعى، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، بكلية الآداب جامعة الفيوم.

ببحث الأمر ، وانعم على سبعين ضابطا وطنيا برتبة القائمقام وفى مقدمتهم عرابى وعلى الروبى.

وقد اتهم على الروبى بالاشتراك فى مظاهرة ١٨ فبراير ١٨٧٩ التى سارت إلى مقر نظارة المالية للمطالبة بصرف مرتبات الضباط المفصولين المتأخرة، وتمت محاكمته مع احمد عرابى وآخرين، ولكن انتهت المحاكمة ببراءته، وفى أعقاب ذلك ناقش عرابى مع زميليه على الروبى ومحمد النادى فكرة خلع الخديو اسماعيل، ولكن أحدا لم يجرؤ على تولى قيادة الخطة، ثم ترك على الروبى وزارة الحربية وعين كبيرا لمعاونى وزارة الداخلية، ثم رئيسا لمجلس محكمة المنصورة ثم نقل رئيسا لمحكمة مصر. وعندما بدأت تباشير الثورة العرابية انضم على الروبى إليها، وعاد إلى صفوف الجيش، وأصبح من أشد المتحمسين للثورة، ومن أخلص رجالها، وكانت ثقة عرابى به كبيرة لدرجة ان اشركه فى العديد من الأمور المؤثرة فى مسيرة الثورة. وعندما عين عرابى وزيرا للحربية تمت ترقية على الروبى إلى رتبه اللواء وكان من النادر ان يحصل مصرى على هذه الرتبة حيث كانت الرتب العليا فى الجيش قاصرة على الأتراك والشراكسة، كما حصل على لقب الباشوية فى عهد وزارة محمود سامى البارودى . وبعد أن انشئت نظارة للسودان عين على الروبى وكيلا لها حيث لعب دورا مؤثرا فى إدارة شئون السودان المصرى بعد ظهور الدعوة المهدية، واتجاهها إلى العنف فكان أول وكيل وزارة للسودان فى تايخ مصر وخلال ذلك كان يجتمع مع الضباط ويشجعهم على التآزر والتكاتف.

وبعد أن تآمر الضباط الجراكسة على الثورة العرابية شكل عرابى مجلسا عسكريا لمحاكمة المتهمين من خمسة عشر عضوا كان برئاسة على الروبى، وعندما أسس عرابى المجلس العرفى لادارة دفة الحكم فى مصر بعدما قرر الخديوى توفيق الاستسلام للانجليز ومعه كبار الأعيان، اختار على الروبى من بين اعضائه وكان دوره هاما فيما صدر من قرارات وما اتخذ من اجراءات، وعندما تأزمت العلاقة بين العرابيين والخديو، وقيام الخديو باصدار أوامره بعزل عرابى هاجم على الروبى الخديوى فى اجتماع الجمعية العمومية للمجلس العرفى كما أوضح دور عرابى فى الدفاع عن الوطن وشرف الدين واتهم الخديو بانه يريد تسليم البلاد للانجليز وطالب بضرورة الاستمرار فى الاستعدادات العسكرية وخلال ذلك قرر المجتمعون بقاء عرابى فى منصبه وزيرا للحربية ، وتليت فتوى شرعية بمروق الخديوى عن الدين لانحيازه لاعداء الوطن، وإلى جانب ذلك فقد شارك على الروبى فى أداء القسم الذى تم فى قشلاق عابدين ولقنه الشيخ محمد عبده لكبار الضباط الذين اقسموا اليمين بأن يكونوا يدا واحدة ضد الخديو وان يقاوموا الانجليز إذا حدثت الحرب وقاموا بغزو مصر من يخالف ذلك يكون خرج من دينه ويستحق القتل.

وعندما قامت الحرب بين العرابيين والانجليز عين عرابى اللواء على الروبى قائدا لمنطقة مريوط العسكرية ونتيجة لاصابة راشد باشا حسنى، وعلى باشا فهمى فى معركة القصاصين استدعى عرابى على الروبى لقيادة القوات المصرية برأس الوادى فى التل الكبير لثقته فيه وفى قدرته على إدارة

الحرب لانه كما يذكر " كان حائزا لأعظم الصفات الممدوحة التى لا يمكن القيام بحصرها " وحضر على الروبى إلى منطقة التل الكبير يوم الثلاثاء ١٢ سبتمبر ١٨٨٢ ووضع خطة المعركة مع عرابى لينفذها مع حوالى خمسة وعشرين ألف مقاتل فى حين كان عدد القوات الانجليزية تزيد عن ٣٠ ألفا ولكن الوقت لم يسعفه حيث فاجأ الانجليز قواته بعد ساعات قليلة من وصوله مما جعله لم يتمكن من تنفيذ خطته وإعادة تنظيم قواته، يضاف إلى ذلك ان عناصر الخيانة فتحت صفوف الجيش المصرى للانجليز حيث لم ينفذ البعض كما يقول عرابى فى مذكراته أوامر على باشا الروبى، والواضح أنه كان من الصعب على أى قائد عسكرى ان ينظم قواته ضد أعداء تمكنوا من السيطرة على العديد من المواقع فى ظرف ساعات فقد حضر على الروبى عصر يوم ١٢ سبتمبر وكانت المعركة فجر ١٣ سبتمبر. ورغم أننا نقدر ظروف على الروبى إلا أنه يؤخذ عليه عدم صموده وهو قائد تلك المعركة بل كان ممن تركوا قواتهم بلا قيادة حقيقية وسافر إلى بلبيس دون أن يرتب خطط انسحاب جنوده الذين كان الانجليز يطاردونهم ، وفى بلبيس تقابل على الروبى مع عرابى الذى كان يحاول جمع فلول الجيش ومنع العدو من الوصول إلى القاهرة ولما كانت القوات الانجليزية تطارده اتجه مع على الروبى إلى القاهرة فى قطار، وذهب إلى مقر ديوان الداخلية بقصر النيل ودعا المجلس العرفى للحضور وعقد مجلس يضم القادة العسكريين واعيان القاهرة لأخبارهم بأمر الهزيمة ومشاورة أهل الرأى فيما يمكن فعله وبعد أن استعرضوا الأمور استقر الرأى على المقاومة وإجراء ترتيب نقط عسكرية

للدفاع عن القاهرة، ولكن الاستعدادات والذخيرة كانت لا تكفى للمقاومة فعادوا إلى المجلس العرفى وعرضوا عليه الموقف فتقرر الكف عن القتال والتسليم وتحرير عريضة إلى الخديو يلتمسون فيها العفو والاعتذار خاصة وان ما قام به عرابى كان دفاعا عن الوطن والدين وتشكيل وفد لتسليم هذه العريضة للخديو بالاسكندرية وكان على الروبى ضمن أعضاء هذا الوفد وسافر الوفد بقطار خاص إلى كفر الدوار فى طريقه إلى الاسكندرية وهناك تراجع بعض أفراده عن الذهاب إلى الخديو واتفق على الاكتفاء بذهاب رئيسه على مبارك واحمد بك السيوفى وعاد الباقى إلى القاهرة خشية القبض عليهم وعلى الرغم من أن الخديو أمر على الروبى بالحضور لمقابلته فقد عاد على الروبى إلى القاهرة خشية قبض رجالات الخديو عليه ومعاقبته وفى القاهرة وجد عرابى وبعض زملائه قد سلموا انفسهم للانجليز، وأن الانجليز واتباع الخديو استطاعوا السيطرة على زمام الأمور . فقام بتسليم نفسه وقدم إلى المحاكمة العسكرية حيث تمت محاكمته فى ثلاث جلسات، وكان موقفه شجاعا ومشرفا، فأجاب بصراحة على كل ما وجه إليه من تهم ، فاعلن مسئوليته عن جميع الأعمال التى شارك فيها أو قام بها ، ولم يلق أى لوم على زملائه فى الثورة كما رفض تقديم التماس بالعفو عنه إلى الخديو، فعندما سئل عن سبب ختمه على قرار المجلس العرفى برفض أوامر الخديو الخاصة بعزل عرابى ذكر ان الخديو كان محجورا عليه بطرف الانجليز وانه ختم على القرار برضائه لان استمرار المدافعة عن الوطن واستمرار التجهيزات لأجل إفشال خطط الانجليز الاستيلاء على البلاد أمر يفرضه الدين والواجب،

فحكم عليه بالنفى إلى منطقة مصوع بالسودان لمدة عشرين عاما وتجريدة من رتبه ونياشينه ، ولم يمض على نفيه عامان حتى اعتلت صحته، وضعف بصره ، فنقل إلى سواكن منفيا تحت الملاحظة، وكانت رداءة الطقس قد اثرت على صحته ففقد بصره ، ونظرا لضيق ذات اليد خلال فترة النفى طلب من أخيه أن يبيع له املاكه التى كانت بقريته بدفنو وتبلغ ثلاثمائة فدان ليستطيع العيش منها والأنفاق على نفسه خلال فترة نفيه ولكن لم يلبث الموت ان عاجله ، فتوفى فى سواكن يوم ١٩ سبتمبر ١٨٩١، ودفن فيها ، ولم تزل رفاته هناك حتى اليوم.

المصادر:

- محافظ الثورة العرابية محفظة رقم ١٣ ملف ٢٤٩.
- كيف دفاعنا عن عرابى وصحبه ، برولى – ترجمة عبد الحميد سليم ، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٧.
- الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، عبد الرحمن الرافعى، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٩.
- مذكرات عرابى، كشف الستار عن سر الأسرار، ٣ أجزاء تقديم ودراسة د. عبد المنعم الجميعى ، دار الكتب المصرية، ٢٠٠٥.
- مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال فى مصر، الياس زاخوره ، القاهرة، ١٨٩٧.
- مصر للمصريين – أزمة مصر الاجتماعية والسياسية ، الكسندر شولش – ترجمة رءوف عباس، دار الثقافة العربية، ١٩٨٣.